الرئيس روزفلت والديمقراطية الأمريكية

مثل من أمثلة الحكم الصالح

للاستاذ سلامه موسى

ترد الينا منذ أسابيع أنباء ذلك الكفاح السلمى الناشب فى ولايات أمريكا المتحدة بشأن انتخاب رئيس جديد للجمهورية .

فقد رشح مستر روزفلت نفسه لرياسة الجمهورية مرة ثالثة ، وليس فى تاريخ الولايات المتحدة رئيس انتخب ثلاث مرات ولكن ليس فى دستورها ما يمنع ذلك. والحزبان الكبيران اللذان يتنازعان الرياسة والسياسة هما الحزب الديمقراطى والحزب الجمهورى . والأول يمثل فى أمريكا ما يمثله فى أوربا الحريون (Libéraux) أو دعاة الاصلاح الجرىء الذين لا يهابون التجديد فى كل شىء . أما الثانى — وهو الحزب الجمهورى — فيمثل المحافظين الذين يؤيدون النظام الاقتصادى القائم وينفرون من الاصلاح الا أن يكون وئيدا متريثا وبقدر معين .

والرئيس روزفلت ديمقراطى مجدد جرىء حتى ليتهمه خصومه الجمهوريون بأنه اشتراكى ينزع الى الشيوعية نزعة ظاهرة . ولكن هذه التهمة لا تعدو أن تكون احدى المهاترات التى يولدها كل صراع حزبى عنيف ، ولعل سببها راجع الى مجموعة القوانين التى استصدرها الرئيس روزفلت وسماها الجمهور " الصفقة الجديدة New Deal ".

ولكى نعرف المدى البعيد الذى تذهب اليه هذه القوانين ، يجب أن نعود بالذاكرة الى سنة ١٩٣٣ التى انتخب فيها روزفلت للرياسة أول مرة . فلقد كانت الولايات المتحدة تعانى أزمة اجتماعية عاتية ، اذ كان عدد المتعطلين فيها لا يقل عن سبعة عشر مليونا . ومع أن سكان هذه الولايات يبلغون مائة وثلاثين مليونا فان ذلك العدد من المتعطلين يعتبر ضخما وهائلا حتى فى مثل هذه الأمة الكبيرة . ولم تكد نتيجة الانتخاب تعلن حتى استدعى الرئيس الجديد هيئة سماها " عصبة ذوى العقول Brain Trust " وهى مؤلفة من العلماء المشترعين والاقتصاديين والفنيين المتخصصين لكى يستشيرها فى أنجع الطرق لمكافحة التعطل وإعادة الانتعاش الى الحياة الاقتصادية فى الولايات المتحدة . ولم تمض أيام حتى كانت القوانين تصدر عن البيت الأبيض تترى فى مكافحة الفاقة والتعطل والمرض والإفلاس .

واليوم وقد مضى على انتخاب الرئيس روزفلت ثمان سنوات ، لا يسع المنصف الا أن يقول إنه نجح فى تأدية هذه المهمة الشاقة واستطاع أن يستخدم من هؤلاء المتعطلين نحو اثنى عشر مليونا . وأعاد دواليب الصناعة الى الحركة بعد الوقوف ، وجعل المزارعين يتنسمون نسيم الرخاء بعد أن تجسم لهم الافلاس فى ديون يجب أن تؤدى ومحاصيل لا تباع ، وأصبح المتعطلون ينالون فى الوقت الحاضر اعانات التعطل التى تسمح لهم بأن يعيشوا عيشة المتمدنين .

وهذه القوانين كثيرة ، وهى لكثرتها ولوفرة ما انفق عليها من المال الذى لا يقل الى الآن عن ستة مليارات جنيه (جنيه لا دولار) هذه القوانين هى التى حملت خصوم الرئيس على اتهامه بالشيوعية . وما من شك فى أن كثيرا منها قد اصطبغ بالصبغة الاشتراكية المعتدلة ، كما أنها قد زادت فى سلطة الحكومة المركزية الممثلة فى الرئيس وحده أو فى الرئيس مع البرلمان ضد حكومات الولايات . ولقد نشبت خلافات انتهت بأن حكمت " المحكمة العليا " بأن بعض التشريعات الاقتصادية التى اصدرتها الحكومة ليست قانونية . ولسنا بصدد الشرح لهذه القوانين فهى عديدة ومتنوعة . ولكنا نقول إن أول ما التفت اليه الرئيس روزفلت أنه خفض قيمة الدولار بمقدار ٤٠ فى المائة أى أنه رفع بذلك اثمان المصنوعات والمزروعات فاستطاع أصحاب المصانع والمزارع أن يوفوا ديونهم . والتضخم الذى يكرهه أصحاب الأموال يحبب الى المدينين وهم يرحبون به . ولذلك سرى روح الانتعاش ببعض السريان بهذا التضخم الذى كان أول إجراء قام به الرئيس نزولا على الرأى الذى أشارت به عصبة ذوى العقول .

ثم عمد إلى الزراعة فدعا المزارعين إلى أن يحرثوا أرضهم المزروعة قطنا مع أن اللوز كان قد تفتح . وطلب منهم إلا يزرعوا إلا مقدارا معينا من الأرض بالقطن ، وأدى التعويضات عن هذا وذاك ، فكان المزارع يبيع محاصيله بعد ذلك بدولار متضخم ويأخذ إعانة عن الأرض التى لا يزرعها فانتعش ووفى ديونه .

ثم أنشأ ماسماه " إدارة الأعمال العامة " فبنى الجسور فوق الأنهار وشق الطرق التى تبلغ عشرات الألوف من الكيلو مترات يفرشها بالأسفلت ويقيم عليها الأشجار والمصابيح كما أقام الخزانات للأنهار ودعم شطوطها بالبناء وشيد المبانى العامة واستخدم فى كل ذلك ملايين وملايين من العمال ينفق عليهم من خزانة الدولة .

ثم عمد إلى بناء المنازل بجعل الحكومة تؤدى الاعانات لشركات البناء وتقرضها القروض بأقل الفوائد ، فنشطت حركة بناء المنازل فى نحو ٢٠ الف مدينة . وبناء المنزل يحتاج إلى صناعات مختلفة متعددة وتنشيط البناء يدفع هذه الصناعات جميعها إلى العمل فيعم الرخاء ، كما أن تيسير الملكية على الطبقات الفقيرة يوجه هذه الطبقات وجهات اجتماعية صالحة ويبعدها عن الفساد الاخلاقى وعن ارتكاب الجرائم .

ومن أحسن مبتكرات حكومة روزفلت مايسمى " إدارة الرقى فى العمل " فان هذه الإدارة تستخدم الشبان المتعطلين فيقومون بأعمال مختلفة كغرس الغابات أو أى عمل تعميرى آخر ، وهم يعيشون فى الخلاء فى خيام مضروبة بعيدة عن المدن ، ويتعلمون فى مكاتب خاصة تهيئهم للأعمال الصناعية أو الزراعية أو المكتبية ، والحكومة تتكفل بمأواهم وطعامهم وتنقدهم أجرا يبلغ نحو ستة جنيهات فى الشهر .

ولكن الشاب الذى يقوم بهذه الأعمال لايتقاضى إلا ربع مرتبه وترسل الحكومة الباقى لمن يعولهم من أهله وأقاربه .

وبهذه المشروعات تغيرت حال الولايات المتحدة وانزاحت عنها غيمة الكساد والبؤس التى خيمت منذ عام ١٩٣٣ ، وشعرت الطبقات الفقيرة بهذه الاصلاحات فتعلقت بالرئيس. وهو اذا كان سينجح فى الانتخابات القادمة فان معظم نجاحه سيعزى الى هذه الطبقات التى انتشلها من البؤس والتعطل الى حال من الرخاء والهناء تغبط عليها . وبدهى أن مثل هذه الاصلاحات إنما تمت بفرض ضرائب جديدة وبتضخيم الدولار وبالاستدانة . ولذلك فان خصوم المستر روزفلت وان لم يكونوا كثرة فى العدد فهم قوة كبيرة فى عالم المال لأنهم جميعهم من الأغنياء الذين وضع على كاهلهم انعاش الفقراء . وقد نشأنا على أن نسمى تلك الدولة باسم " الولايات المتحدة " ولكن حقيقة الاسم هو " الدول المتحدة " . ومن الحسن أن نصلح الخطأ حتى يتضح مغزى الاسم وهو أن هناك ٤٨ دولة مستقلة قد اتحدت فيما بينها وتنازلت عن بعض حقوقها الاستقلالية وألفت بذلك حكومة مركزية هى حكومة واشنجطن . ولكن هذه الحكومة المركزية لاتستطيع أن تتدخل فى شؤون احدى تلك الدول التى تمتاز بهيئاتها التشريعية والتنفيذية والقضائية بحيث قد تختلف القوانين فى دولة منها عما هى عليه فى دولة أخرى الا فيما يتعلق بحقوق الاتحاد العام كالضرائب والدفاع الوطنى والسياسة الخارجية واتفاقيات البريد وغير ذلك. ورئيس الولايات المتحدة هو أيضا رئيس الوزراء فانه يختار وزراءه ولا يمكن للبرلمان المؤلف من مجلسين أن يسقط الوزارة . ولكن وزير الخارجية بل السياسة الخارجية كلها مقيدة بمجلس الشيوخ الذى يشرف على جميع ما تقوم به الحكومة فى الخارج ، وقد أدى حرص هذه الولايات أو الدول الثمانى والأربعين على صيانة حقوق الشعب من طغيان الرئيس البرلمانى الى أن صار للمحكمة العليا فى واشنجطن حق الحكم ضد الرئيس وضد البرلمان اذا ما انحرفا عن الأصول الدستورية . فالحكومة المركزية فى واشنجطن مؤلفة اذن من هيئات ثلاث هى :

(١) البرلمان أى مجلس النواب ومجلس الشيوخ ويطلق عليهما مجتمعين اسم كونجرس (Congress) أى المؤتمر .

(٢) والرئيس الذى ينتخبه الشعب لمدة أربع سنوات .

(٣) والمحكمة العليا التى لا يمكن عزل قضاتها .

وتمتاز الديمقراطية الأمريكية بشباب وفتوة مع التفاؤل والاستبشار بالمستقبل . وهذا هو ما يجرئ الحكومة المركزية والحكومات المحلية على التجربة . فان " قوانين ومشروعات الصفقة الجديدة " هى تجربة عظيمة لا يقوم بها غير دولة تحسن الظن بالمستقبل .

وهناك مشروعات مالية واقتصادية نظنها لفرط جرأتها اسرافا فى الخيال تقوم بها هذه الولايات ولا تبالى الأخطار التى قد تتورط فيها وما الحافز اليها الا شدة ما تحسه من شباب وتفاؤل . والولايات المتحدة هى القطر الوحيد الذى يخجب مثل فورد الذى بلغ الثمانين وهو لا يزال يلعب بمخترعاته كما يلعب الصبيان بلعبهم . ويخرج ثلاثين مليون أتومبيل بروح الصبى المرح لا بروح المالى العجوز الذى يطلب الترف والثروة والراحة .

وفى هذه البلاد يؤلف الأستاذ بيتكين كتابا عنوانه " الحياة تبدأ فى الأربعين " حيث يشرح لقرائه كيف يدبرون حياتهم فى سن السبعين والثمانين .

وهذا التفاؤل بالمستقبل هو الذى يجعل الأمريكيين يؤمنون بالعلم ايمانا يكاد يكون أعمى . فان عندهم مجلات تخصص لتأليف القصص العلمية . وهى تضرب فى بيداء الخيال متحدثة عن الانسان الذى سيعيش ألف سنة أو المنزل الذى تؤدى فيه أعمالنا جميعا بجملة أزرار كهربائية الى جنب السرير ، أو عن الفواكه التى نتغذى بها ونتداوى . أو عن الطائرة التى نعيش فيها أشهرا فى السكائك أى فى الهواء الذى يلاقى عنان السماء .

ومثل هذا التفاؤل والاعتماد على العلم مع الثقة به هو الذى يجعل الأمريكيين يقبلون على الزراعة المائية أى الهيدرو بونية بلا أرض .

وهى زراعة تنتشر فى أحواض الماء فى البيوت تزود بغذاء كيمائى . وقد نجحت حتى دخلت فى الطور التجارى . والبيت الأمريكى هو أعظم البيوت فى العالم استخداما للقوة الكهربائية .

وتجارب الأمريكيين فى التعليم و إنشاء المدارس الجديدة بل الطريفة برهان على روح التفاؤل الذى يعم جميع السكان .

وروزفلت فى تجاربه الاقتصادية العظيمة لا يختلف عن فورد فى تفاؤله بالمستقبل . فإنه يشعر أنه يرأس أمة عظيمة لها موارد لا تفنى من الزراعة والصناعة . بل من الاخلاق والثقافة . فهو يقدم على انفاق الوف الملايين من الدولارات وهو واثق بالقدرة المالية التى تتمتع بها بلاده و بالمستقبل الذى يزدهر أمامها .

وحياة هذا الرجل مثل ناصع للجرأة العاقلة والاقدام الرزين ، فقبل نحو ثمانى عشرة سنة أصيب بمرض جعله مشلولا مطروحا على السرير لا يقوى على الحركة . وهذا المرض الذى يسمى " شلل الأطفال " لأنه يصل بالإنسان الى حال من العجز تشبه حال الطفل — كان يمكن أن يقضى على ارادة روزفلت لولا ماطبع عليه من تفاؤل و إقدام . فانه لم يستسلم لدعة السرير ولم يذعن لنصيحة أمه التى أملاها الحنان ، فيركن الى السرير ويخضع لحكم الاقدار بل استمع الى نصيحة زوجته التى أبت أن تراه قعيدا ، فما زالت به تحضه على النهوض ، بترويض ساقيه على الحركة حتى استطاع بعد جهاد طال سنين أن يسير بضعة أمتار على عكازتين . ثم ما زالت حالته تتحسن حتى استعاد أو كاد يستعيد صحته وعافيته .

وهذه الزوجة من أنشط النساء الأمريكيات : تكتب فى الصحف ، وتتحدث من محطات الإذاعة ، وتشترك مع زوجها فى درس المشكلات الوطنية والعالمية .

وبعد أيام ستجرى الانتخابات للرياسة الأمريكية. ومما لا شك فيه أن الرئيس روزفلت مرشح له خطره على منافسيه . فإن كتب له الفوز فسيحظى الأمريكيون بأربع سنوات من حكومة البر بالفقير والعدالة النزيهة . و إذا كان خصومه سيكثرون من الكلام عن شيوعيته بل فوضويته ، فإن هناك سبعة عشر مليونا يعرفون أنهم كانوا فى عام ١٩٣٣ متعطلين جائعين وأنهم الآن قد شبعوا وأمنوا .

سلامه موسى

— النعمة كالنقمة تحتاج إلى الثبات والجلد .

سعد زغلول

— لا تقسروا أولادكم على التطبع بطباعكم ، فقد خلقوا لزمان غير زمانكم .

على بن أبى طالب

— لو أن ما بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت . فهم إذا شدوا أرخيت و إذا أرخوا شددت .

معاوية

— قيل لحكيم : أيهما أحب إليك ، أخوك أم صديقك ؟ فقال : "والله ما أحب أخى إلا إذا كان لى صديقا".